أثر معالجة الصور الرقمية على أخلاق العمل الإعلامي

■ د. فوزي محمد سالم المحمودي
قسم الفنون المرئية - كلية الفنون والاعلام - جامعة طرابلس

■ د. عادل المشري على هواد
قسم الاعلام - كلية الفنون والاعلام - جامعة طرابلس

مقدمة:

من المهم جدا التطرق بالبحث العلمي الى المواضيع التي تمس الجانب الأخلاقي لأي مهنة، وخصوصاً المهن التي لها بالغ التأثير في الرأي العام. الفنون الاعلامية بشكل عام هي إحدى هذه المهن التي تملك وسائل التواصل المباشر بالمجتمع، وتشكل جزءا كبيرا في البيئة المحيطة بالفرد من حين مغادرته بيته إلى حين عودته، محاط بالصوت والصورة.

والصورة هنا هي موضوع هذا البحث، خصوصاً بعد دخولها العالم الرقمي وأصبح من السهولة بمكان أن تشكلها كما تريد. هذه التقنية تتم بواسطة برامج تطبيقية تعطي نتائج غاية في الدقة، أدت إلى أستغلالها في طرق غير أخلاقية، مما تسبب في العديد من المشاكل وصلت إلى حد القتل. هذا الوضع حسس بضرورة وضع مواثيق أخلاقية ملزَّمة. ألا أن انتشار التقنية بشكلها الواسع أدى إلى أن تكون هنا خروقات للوصول الى مصالح معينة، وهذا يحدث حتى على مستوى الدول.

مشكلة البحث:

أصبحت الصورة وسيلة توصيل وتواصل غيرت من المفردات الأساسية للعمل الإعلامي بشكل عام ، وخصوصاً بعد ثورة المعلومات و قفز التكنولوجيا بشكل متسارع و متلاحق . حيث ضربت هذه الثورة بتقنيانها المفاهيم المتعلقة بالصور الإعلامية، وأسس استخدامها ومعالجتها،ووظيفاتها، وكيفية إنتاجها.

وتبعاً لهذا التطور التقني الهائل الذي أثر التاثير البالغ والواضح للعيان في صناعة وثقافة الصورة الإعلامية، وخاصة فيما يعرف بالصورة الإعلامية الرقمية، والتي ظهرت في المجال الإعلامي كمفهوم جديد ووسيلة مستهدفة في الاتصال، لها تقنياتها وظواهرها وأخلاقياتها. يجعلها موضوعا علميا مهما للبحث والمناقشة.

إن الاستخدام الحديث للصور الرقمية في وسائل الإعلام أدى إلى العمل على زيادة جودتها وتسارع تناقلها من مكان لآخر، والتخصص في التفاعل معها، وقدرتها على التشكل بسهولة في بيئات ووسائط إعلامية متعددة، بفعل اعتمادها على اللغة الرقمية. كما يكشف عن إثارة بعض الصور لردود فعل سياسية واجتماعية وثقافية بدرجة أكبر مما قد تحدثه الفنون الإعلامية الأخرى.

لقد أصبحت الصورة الرقمية محاطة بالبشر إحاطة تامة، وخاصة عبر وسائل الإعلام، وحفزت البعض لأن يتساءل عن مدى تأثير هذا التشبع بالصور على فهم الأحداث ، والتأثير الناتج عن سرعة ونشر وبث الصور على درجة استجابة الجمهور للأحداث، ومدى قدرة الصورة على إحداث ردود فعل قوية وسريعة ومباشرة. كما أحدثت المعالجة الرقمية للصور تأثيرات كبرى على طرق إنتاج وتحرير وإدارة وصناعة الصور في وسائل الإعلام، وأثارت تساؤلات عديدة عن الأبعاد الأخلاقية الجديدة للصور الإعلامية الرقمية، وعلي تأثيراتها على العمل الإعلامي برمته.

أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث في عدة عوامل أثارت الموضوع وجعلته مشكلة بحثية يجب الوقوف عندها ووضعها موضوع دراسة ، يمكن تلخيصها في المكانة الجديدة للصور الرقمية وأهميتها في وسائل الإعلام الحديثة، وتنوع وتطور التقنيات المستخدمة في إنتاج وأيضاً في أساليب معالجتها ما أدى إلى ظهور بعض الإشكاليات الاخلاقية في مجال الممارسات الإعلامية المتبقية في بعض وسائل الإعلام. مما كشف عن عدم وجود اية تقاليد وأعراف لديها فيما يتعلق بطرق معالجة الصورة الرقمية.

وأيضاً ما يزيد من أهمية مثل هذه البحوث هو ندرة الكتابات التي تطرقت إلى التطور الحديث والهائل في مجال المعالجة الرقمية للصورة وتأثيرها على الجانب الأخلاقي للعمل الإعلامي بشكل عام .

أهداف البحث:

1. رصد التطورات الحادثة في مجال صناعة الصور الإعلامية الرقمية وأبرز التقنيات التي تستخدمها وأبرز ملامح الصور الرقمية وثقافتها وتأثيراتها.
2. تحليل الظواهر المرتبطة بتأثير المعالجة الرقمية للصورة على العمل الإعلامي والحالات الإعلامية التي ظهرت جراء تطبيق المعالجة الرقمية للصورة.
3. تقييم للتصورات الإعلامية المتعلقة بكيفية التفاعل مع هذا الشكل الجديد من المعالجة للصورة، ومحاولة وضع تصور أخلاقي محدد لكيفية التعاطي مع هذه الظاهرة الجديدة.

فروض البحث :

تقوم فرضية البحث على تزايد مفهوم الصورة الرقمية و إدراكها وتصويرها كوسيلة اتصالية متميزة ، لها مفرداتها و دلالاتها و تقنيتها الخاصة بها ، كما يفترض البحث عدم وجود سياق أخلاقي محدد لدى المؤسسات الإعلامية في تعاملها مع الصورة الرقمية.

وكذلك يفرض البحث وجود ممارسات أخلاقية غير سوية في مجال التعامل مع المعالجة الرقمية للصور بسبب حداثة الظاهرة والانبهار بها ، وعدم وجود ظوابط مهنية محددة للتعامل معها ، وعدم وجود الوعي بأخلاقيات وثقافة الصورة الرقمية.

منهجية البحث :

يقوم البحث على التحليل الثانوي لبعض الكتابات المتعلقة بالصورة الرقمية (الثقافية والتكنولوجية والقانونية)، والتحليل الكيفي لبعض المواثيق الإعلامية المتعلقة برؤية المؤسسات الإعلامية للمعالجة الرقمية للصورة.

الدراسات السابقة :

من بين الدراسات التي اهتمت بالبحث في تأثيرات المعالجة الرقمية للصورة :

1. دراسة جلبرت وشولدر (Gilberts & Schleuder 1990) حول تأثير استخدام الألوان في الصورة على المجهود الذهني والذاكرة .
2. دراسة جريفن (Griffen 1992) عن استخدام الصحف لبرامج المعالجة الرقمية في إحداث تعديلات في الألوان، وفي مضمون الصور الصحفية.
3. دراسة كيلي وناسي (kelly & Nace 1994) عن المصداقية الذي تتمتع بها المعالجة الرقمية للصورة.
4. دراسة كرامر (kramer 1994) التي اهتمت بمعرفة اتجاهات المصور إزاء المعالجة الرقمية للصورة.
5. دراسة بوتر (Potter 1995) حول تأثيرات التوسع في استخدام تكنولوجيا التصوير الرقمي.
6. دراسة راسلي (Russeli 1997) تأثير المعالجة الرقمية على مصداقية الصور الصحفية .
7. دراسة راسيل ووانتا (Russial & Wanta 1998) عن أخلاقيات المعالجة الرقمية للصور لدى المصورين المحترفين.
8. دراسة فهمي وسميث (ahmy & Smith 2006F) عن مزايا وسلبيات التصوير الرقمي.
9. دراسة أرون كوين (Aaron Quinn 2007) حيث رصدت هذه الدراسة جوانب

التلاعب في الصورة وتأثير هذا التلاعب على أخلاقيات العمل الإعلامي.

10. وتطرقت بعض الدراسات للجوانب القانونية للصورة وتأثير التكنولوجيا على الحقوق المتعلقة بالصورة، فمثلاً رصدت فرنون (Vernon، 1997)التطورات التكنولوجية التي شهدتها الصور الصحفية، والمشكلات القانونية والأخلاقية والاجتماعية الناجمة عن تلفيق وتزييف الصور الصحفية.

11. الدراسات العربية المتعلقة بالصورة يلاحظ أن هناك ندرة في الدراسات التي تعرضت للصورة باعتبارها محورًا أساسيًا للبحث، وخاصة المعالجة الرقمية للصور، حيث ركزت أغلب الدراسات على الصورة باعتبارها عنصرًا تيبوغرافيًا يستخدم في تصميم وإخراج الصفحات، ويساعد على جذب الانتباه إلى النصوص الصحفية، وإن ركز بعضها على دراسة الصورة الصحفية باعتبارها المحور الأساسي للدراسة مثل دراسة محمد عبد الحميد عن تحليل محتوى الصورة الصحفية، ودراسة السيد بهنسي عن دور الصور الصحفية في دعم السياسات التحريرية للصحف الحزبية. حيث ركز معظمها على تاريخ الصورة والجوانب الفنية لإنتاجها، وهي موضوعات لم تعد تشغل بال المهتمين بالصورة.

المبحث الأول:

مفاهيم أساسية في ثقافة الصورة الرقمية

تعريف الصورة وأنواعها:

يأخذ مفهوم الصورة - عند البحث عنه وتحديده - العديد من المفردات منها اللوحة الزيتية، الصورة الثابتة (الفوتوغرافية)، الصورة المتحركة (السينما، والتلفزيون)، والصورة الرقمية، والصورة الذهنية، والصورة الشعرية، والصورة الخطية، بالإضافة الى صور الواقع الافتراضي، والصور التشكيلية، وغيرها.

تقدم بعض القواميس العديد من التعريفات لكلمة صورة، بدءًا من الإشارة إلى عملية إعادة الإنتاج - النسخ - لأي شكل سواءً كان إنسانا أو أي موضوع معين،إلى الإشارة إلى كل ما يظهر على نحو خفي، وفيما بين هذين المعنيين تشتمل التعريفات على استخدامات خاصة للمصطلح في الفيزياء والرياضيات وعلوم الكمبيوتر وغيرها. وكذلك هناك معان عامة أخرى للمصطلح تجسد الخصائص المرتبطة بالصور المرئية، وكذلك الجوانب العقلية، والتي تشتمل على الوصف الحي، والاستعارة الأدبية والرمز الأدبي، والرأي أو التصور، والطابع الذي يتركه شخص أو مؤسسة، كما تفسرها أو تقدمها وسائل الإعلام. وتمتد كلمة صورة Image بجذورها إلى الكلمة اليونانية القديمة أيقونة Icon، والتي تشير إلى التشابه والمحاكاة.

إن تزاحم هذه الأنواع لا يدل على تعدد أشكال نقل الصورة بقدر ما يؤكد شيئًا أساسيًا، وهو أننا لا يمكن أن نستغني عن الصور، فعندما نفكر فنحن نستعمل صورًا ذهنية، ولا يمكن القيام بعملية التفكير بدون هذه الصور، لأنها هي التي تدفعنا للتعبير عما هو غير موجود بشكل عيني، فالصورة هي العالم المتوسط بين الواقع والفكر، بين الحس والعقل.[1]

أما التصوير أو التصوير الضوئي أو التصوير الفوتوغرافي هو المرادف لفن الرسم القديم، فمن خلال العدسة يقوم المصور بوضع تصوَّره الى اللحظة الملتقطة من خلال عدسته. والتصوير هو عملية إنتاج صورة بواسطة تأثيرات ضوئية، فالأشعة المنعكسة من المنظر تكون خيالاً داخل مادة حساسة للضوء. ثم تعالج هذه المادة بعد ذلك، فينتج عنها صورة تمثل المنظر. ويسمى التصوير الضوئي أيضاً التصوير الفوتوغرافي، وكلمة فوتوغرافي (Photography) مشتقة من اليونانية وتعني الرسم أو الكتابة بالضوء.[2]

الصورة الرقمية والمعالجة الرقمية:

الصورة الرقمية عبارة عن الآف أو ملايين المربعات الصغيرة تسمى عناصر الصورة أو مايعرف بالبيكسل. عندما يبدأ الحاسب برسم الصورة فإنه يقوم بتقسيم الشاشة أو الصفحة المطبوعة الى شبكة من البيكسلات ثم يقوم باستخدام القيم المخزنة للصورة الرقمية ليعطي لكل بيكسل لونه وسطوعه، وتسمى هذه الطريقة توضيع الخانات bit mapping وتسمى الصورة maps bit .

تعتمد جودة الصورة الرقمية على عدد البيكسل المكون لها، فكلما ازداد عدد البيكسل كلما حصلنا على جودة أفضل. إذا ماتم تكبير الصورة الرقمية الى حد معين (يختلف من صورة لأخرى) نلاحظ ظهور تشوه معين ناتج عن كون الصورة مركبة من بيكسلات، ويسمى هذا التشوه Pixelization وكلما كان عدد البيكسلات كبيراً كلما تأخر ظهور هذا التشوه عند التكبير.

يحدد حجم الصورة بطريقتين إما بأبعادها بالبيكسل أو بعدد البيكسل المكون لها. مثلا الصورة نفسها يمكن أن يقال إن حجمها 1800 * 1600 بيكسل، أو إن حجمها 2.88 مليون بيكسل (1800 * 1600).[3]

تختلف الصور الرقمية عن الصور الفوتوغرافية في أنها صور مولدة من خلال الكمبيوتر والكاميرا الرقمية أو على الأقل معززة بهما. وتستمد قيمتها الخاصة من دورها كمعلومة،

1 . شاكر عبد الحميد، عصر الصورة، الايجابيات والسلبيات، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 311، يناير2005،ص 16 . 17

2 السيد مصطفي، التصوير الفوتوغرافي، جامعة الشارقة، الشارقة، 2003، ص 15 . 16

Reaves، S. (1995b)، The Unintended Effects of New Technology and Why We Can Expect More، Visual Communication Quarterly، 2-11-15.

وكذلك من تميزها بوصفها صور يسهل الوصول إليها، والتعامل معها ومعالجتها وتخزينها وتحميلها أو تنزيلها في الكمبيوتر أو على الإنترنت.

وبينما كان المصطلح يشير إلى معالجة الصورة عن طريق الماسح الضوئي وبرنامج الفوتوشوب، فقد تم التوسع في استخدامه ليشير أيضًا إلى التقاط الصورة باستخدام الكاميرات الرقمية، فضلاً عن معالجاتها ببرامج معالجة الصورة، مرورًا باستخدام التقنيات الحديثة في حفظ وتنظيم الصور وأرشفتها واسترجاعها. وتتخذ الصور الرقمية عدة أشكال من بينها الصور الإعلامية، وصور الواقع الافتراضي، وصور المحاكاة، وتكنولوجيا الأقراص المغنطة، وصور مواقع الأفلام على الإنترنت وغيرها. وقد أصبحت هذه الصورة تتشكل بألبسة مختلفة ومتنوعة ومتكاملة في ذات الوقت.[1]

في عالم الصور الرقمية لا توجد صور فريدة من نوعها، حيث لم يعد ينظر للصورة باعتبارها مجرد إعادة إنتاج لواقعة أو حادثة، بل على أنها نسخة مكررة، فالصور في الفترة السابقة على النسخ الآلي للصور، كما هي الحال في فن التصوير الزيتي مثلا، كانت توضع في مكان خاص، وتحصل على قيمتها الثقافية من كونها صورة أصلية أو فريدة. أما الصور المنسوخة آليا فقد حصلت على قيمتها من خلال قابليتها لإعادة الإنتاج المكثف، وإمكان توزيعها بدرجة كبيرة، وكذلك دورها في وسائل الإعلام، حيث يمكنها تدوير ونشر وإذاعة الأفكار، وإقناع المشاهدين. أما الصور الرقمية والافتراضية فقد حصلت على قيمتها من خلال خصائص أخرى مثل سهولة الوصول إليها، والحصول عليها، ومطاوعتها، وقيمتها المعلوماتية المضافة. كما بدأت قيمتها تتأتى من قيمتها الثقافية والإعلامية والاجتماعية والجمالية أيضا، ومن إمكانية رؤيتها على شاشات عديدة في الوقت نفسه. وقد ساعدت اللغة الرقمية على زيادة فاعلية الصورة وظهورها كلغة جديدة ،كسرت حدة الخوف وجفاف المادة المكتوبة، بل وأصبحت تقدم شهادة إثبات على صدق ما تقوله الكلمة المكتوبة، بعد أن أصبحت مكونًا أساسًيا للمعرفة وتقديم المعلومات في هذا العصر.

أهمية الصورة:

للصورة عدة وظائف جعلت منها سلاحا قويا أقوى من الكلمات، ومن بين هذه الوظائف إثارة الأحاسيس، وفتح مجال للخيال، ومساعدة الانسان في استدعاء الماضي ومعايشته، كما يمكن من خلالها توثيق ورصد الأحداث، وتوقيف الزمن وتثبيته، والصورة تساعد الانسان في التفكير بالمستقبل، وتجعل خياله يتحرك عبر إطار زمني ممتد ومنفتح، وتمكنه من التفاعل مع أشخاص موجودين في أماكن بعيدة.

1 شاكر عبد الحميد، عصر الصورة، الايجابيات والسلبيات، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 311، يناير،2005، ص 22 . 23

الصورة سلاح،الصورة سلطة، الصورة عبارات متداولة يستدل بها معظم الناس على اختلاف فئاتهم وبيئاتهم واهتماماتهم، وخاصة بعد التطور التكنولوجي الذي شهده عالم إنتاج الصورة وتوزيعها وتوظيفها، حيث أقام الإنسان عن طريقها علاقة جديدة مع الزمان والمكان، وصار يشاهد الأحداث لحظة وقوعها، وبشكل مرئي ومحسوس في نفس الوقت. وقد لعبت وسائل الإعلام دورًا أساسيًا في زيادة هذه الأهمية للصورة، وفي زيادة وعي الإنسان المعاصر بأشكال الصورة المختلفة وجوانبها الإيجابية والسلبية معًا. كما ساهمت علوم الصورة وتقنياتها وتجلياتها في عمليات التربية والتعليم، وفي عمليات التسويق، وفي الحوار بين الجماعات والشعوب،وفي الاستمتاع وقضاء وقت الفراغ.

الرؤية هى أقوى الحواس البشرية التي يتمتع بها البشر، ومن خلالها يأتي التأثير القوي للصورة، إذ تزود الفرد بما يصل إلى 80 ٪ من المعارف التي يتحصل عليها، بينما تتشارك الحواس الأخرى في النسبة المتبقية، فضلاً عن كون الصورة أكثر قدرة على ترجمة المشاعر والأحاسيس، وملامسة العواطف والمشاعر والأفكار،والاستحواذ على الانتباه.كما تتفرد بمزايا عديدة في الإقناع، والاستثار، والاندهاش، وسهولة الاستيعاب بشكل فوري وسريع من قبل أي فرد.[1]

ثقافة الصورة:

يعنى مصطلح ثقافة الصورة برصد الرؤى المختلفة المحيطة بالصور ودلالاتها ومعانيها وتأثيراتها، وكيفية النظر إليها كرمز، وكوسيلة تواصل وكناقل للمعرفة.وفي هذا العصر المعلوماتي، بدأت ثقافة الصورة تتشكل بطبيعة الفترة الزمنية، وأصبحت تتضمن مجموعة محددة من الموضوعات والأنشطة وبنى الاستهلاك والإنتاج للتمثيلات المعرفية (الرمزية) التي تدور حولها، حتى إن البعض يقارن ما يحدث من تحولات جذرية في ثقافة الصورة الآن وخاصة الصور الرقمية، باكتشاف الكتابة، وميلاد فن التصوير الزيتي، واختراع التصوير الفوتوغرافي، فالصورة الرقمية تعد بمثابة ميلاد لأداة جديدة في المعرفة.

إن التطورات المتسارعة في مجال المعالجة الرقمية للصور، وظهور بعض الاستخدامات السلبية لها، ووقوع بعض المؤسسات الإعلامية العريقة ضحية لبعض هذه المعالجات، أثر في إعادة النظر في مصداقية الصورة المرئية، وفي قدرتها على نقل الواقع كما ينبغي، وهو ما أدى بالتالي إلى تراجع النظر للصورة كمعادل للحقيقة، وكناقل للأحداث، مما يجعل المرء يفكر مرتين قبل أن يتخذ قرارًا بناء على صورة يراها.[2]

1 شاكر عبد الحميد، عصر الصورة، الايجابيات والسلبيات، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 311، يناير، 2005، ص7 . 42

2 نصر الدين لعياضي، الصورة في وسائل الإعلام العربية، الإذاعات العربية، لبنان،العدد1، 2006 ، ص 55 . 56

أصبحت الصورة تتلاعب بالعقول، وتفصل متابعها عن العالم الحقيقي، بحيث لايعود يعرف الواقع إلا من خلال الصورة المتتالية المسيطرة. كما استطاعت الصورة أن تمارس هيمنة وسلطة على المتلقي المنبهر والمشاهد المستهلك السلبي الذي تقتصر لذته على المتعة البصرية.

كما استطاعت الصورة أن تكون عنصرا أساسياً في تشكيل شخصية الانسان، وفي تشكيل تصوراته عن الواقع بشكل يفوق خبراته الفعلية اليومية المعاشة.

لقد أدت صناعة الصورة الى هيمنة ثقافة المظهر والشكل، والابهار واللمعان والاستعراض، على حساب ثقافة الجوهر والمضمون والقيمة والعمق. كما توغلت الصورة داخل وعي الإنسان وأصبحت تؤسس لاختيارات، وتفضيلات، وتحفيزات، وتحيزات أو تطلق حاجيات وتحدث رغبات. وفي عصر صناعة الصورة أصبحت الصورة تقيم معادلاً خيالياً للواقع، بل يصبح الواقع أحياناً صورة شاحبة عن الصورة، فتكون الصورة هي الأساس وليس الواقع، وأصبحت الصورة أحياناً تسبق الواقع وتمهد له.[1]

أصبحت الصور والأشكال المصورة للأخبار والبيانات والمعلومات تمثل جانبًا مهمًا تقوم من خلاله مجالات عديدة بالتجارب ووصف المعلومات وتوصيل الأفكار، كما أصبحت الصورة في منزلة صناعة الحدث نفسه، وباتت تتطلب معرفة عميقة ومتخصصة في التعامل معها، فضلاً عن حدوث تحول عالمي في كيفية التعاطي مع الوسائل البصرية كأدوات لتمثيل المعرفة، وهو تحول يتزايد تصاعديًا مع تزايد أهمية وسائل الإعلام الرقمية كشكل من أشكال تقديم المعلومات.

سلبيات وإيجابيات عصر الصورة:

ان النقل المباشر للأحداث واللهث وراء السبق، وهيمنة الصورة وتدفقها وتسارعها قد حولا الهدف من استخدامها من مساعدة الجمهور على فهم ما جرى إلى الاقتصار على نقل ما جرى، ومن ثم أصبحت الصورة هي الحدث ذاته وليست وسيلة لنقل الحدث. وكذلك أثر هذا التسارع في النقل على القيم والأخلاق،وعلى تراجع مستوى الجودة والحرفية والدقة، وعلى قدرة وسائل الإعلام على عكس الواقع وإثراء الحوار الديمقراطي، فوسائل الإعلام تتعامل مع الصورة كسلعة، متجاهلة القيمة الإضافية التي تقدمها للصعيد الإعلامي.

ومن ناحية أخرى، لم يؤد كثرة الصورة وتراكمها إلى فهم كل ما جرى، وكيف تم؟ ولماذا تم؟، فضلاً عن أن اللهث وراء الصورة أدى لزيادة هيمنة ثقافة المظهر والشكل والإبهار

1 7 Christine Rosen، The Image Culture، The news Atlantis، Fall 2005

على حساب ثقافة الجوهر والقيمة والعمق، وخلق ما يعرف بثقافة التكرار، والتركيز على الترفيه، وتفضيل الفردي والعولمي، وتعميق الصور النمطية، حتى ان البعض يخشى من أن يؤدى طغيان الصور إلى أن تحل محل الكلمات، وإلى تراجع القراءة لمصلحة المشاهدة.

كما يعتبر تزييف الوعي وإخفاء الحقيقة من الجوانب السلبية التي زادت الصورة الرقمية من استخدامها، بمعنى أن الصورة الرقمية زادت من قيمة الأمور السطحية والمؤقتة والعابرة على حساب الحقيقي والجوهري والثابت، كما زادت من تحويل الإنسان إلى كائن سلبي مستقبل ومستهلك للصور. وقد ساعدت بعض المؤسسات القائمة على صناعة الصورة بتقديم صور زائفة للواقع، وخلق حالة من البعد عن المعرفة، وزرع حالة من الإدمان على تلقي المعرفة عبر الصور. وقد زادت هذه المظاهر مع ظهور مايعرف بجرائم الصور، كالقتل والتزوير والابتزاز.

أما من الناحية الإيجابية للصورة الرقمية، فهناك عدة إيجابيات من بينها حفظ التاريخ وأرشفته بشكل مرئي، ورصدها لما موجود بين البشر في الحاضر وتتبع مساراته. وأيضاً مكانة الصورة في تسجيل الأحداث والوقائع والتذكير بالماضي، وقدرتها على تقديم الخدمة لمجالات كثيرة، واستطاعتها مخاطبة كل الأعمار والمستويات الثقافية وأيضاً ذوي الاحتياجات الخاصة، وتقريب المسافات، وتنشيطها للانتباه والذاكرة والإدراك والتطور والخيال، ومساعدتها في العملية التعليمية والرفع من مستوى طرق التدريس على كل المستويات، واستطاعتها التحول من المشاهدة السلبية إلى الاداء الإيجابي.

المبحث الثاني :

التحولات الأساسية في ثقافة وإنتاج الصورة الرقمية

إنتاج الصورة:

يكشف التطور التاريخي للصورة على أنه بينما كان الاعتقاد السائد سابقًا بأن الكاميرا هي الطريقة الأكثر استخدامًا في الإشارة إلى المظاهر الخاصة بالأشياء والأشخاص والأدلة الخاصة بالوقائع، وأن التصوير الفوتوغرافي هو أكثر الوسائل شفافية ومباشرة في الاقتراب من الواقع[1].

مع التحول للتصوير الرقمي، بدا واضحًا أننا ندخل مرحلة جديدة، لم تعد فيها الصورة تمثل الحقيقة، وانها تنتقل بالمعرفة لمستوى جديد ومختلف عما سبقه، وأن ثمة

1 شاكر عبد الحميد، عصر الصورة، الايجابيات والسلبيات، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 311، يناير2005،ص 402.405

تطورات كبيرة في طرق نقل الصور والمعلومات ومعالجاتها وتخزينها، وأن جودة الصورة في تحسن مستمر، وأن التصوير قد تحرر من قيود التركيز على جماليات الصورة إلى التركيز على أهمية جماليات الواقع، وأن الكاميرا قد أصبحت الوسيط الجماهيري الذي يمكن استخدامه بطريقة ديمقراطية، كما يشير هذا التطور إلى أننا في بداية مرحلة جديدة في ثقافة أخلاقيات الصورة، وخاصة الإعلامية منها، حيث أصبح من السهل التلاعب بالصور وتوظيفها في خدمة أغراض عديدة.

الصورة كوسيلة اتصالية:

مر التطور التاريخي للاتصال بعدة مراحل منها المرحلة السمعية، ثم الكتابية، فالطباعية، وبعدها انتقلت البشرية إلى مرحلة حضارة التلغراف والتليفون والإذاعة وعصر الصورة. وعرفت الصحافة سنة 1835 طبع الصور المرسومة عن طريق الورق الحساس، وحفرها على الزنك في سنة 1838، وفي سنة 1840 استطاع جون راير التقاط صورة لوجه بشري بالكاميرا. وبعدها ظهرت طرق أخرى مثل الحفر على الحجر والزنك ثم طريقة الفوتوغرافور والأوفست، وأجريت تجارب لنقل الصور والرسوم بواسطة الكهرباء، ونقلت أول صورة بالتليفون سنة 1930 ثم تم نقلها بالراديو، ووصل نقل الصور إلى قمته عندما استخدم القمر الصناعي في نقلها إلى أجهزة التليفزيون لأول مرة في 19 يوليو 1962.[1]

وقد شهدت تسعينات القرن العشرين تطورا هائلا في مجال التصوير الصحفي، تمثلت في دخول جميع العمليات الخاصة به إلى عصر الصورة الرقمية، بدءًا من التقاط الصورة إلى معالجتها بطرق متنوعة عالية التقنية والدقة، وإنتهاء بنقلها السريع إلى أي مكان، ليتحقق ما تنبأ به المتخصصون في منتصف الثمانينات من أن التصوير التقليدي المعتمد على استخدام فيلم التصوير الحساس والغرفة المظلمة سوف يختفي ليدخل التصوير الإعلامي العالم الرقمي، الذي يختزل النص والصوت والصورة التناظرية إلى معلومات رقمية يمكن نقلها بواسطة أجهزة رقمية، وذلك بفضل الاندماج الكبيرة بين صناعات الاتصالات والبث والكمبيوتر[2].

في السنوات الأخيرة، تزايد اهتمام الناس وإحساسهم بقيمة الصور نتيجة انتشار استخدامها، خاصة الصور المتحركة، وانتشار المجلات والكتب المصورة وازدهار فن الطباعة، فضلاً عن ظهور التليفزيون وتقدم الفن السينمائي والتنافس بين الصحف للحصول على الأخبار المصورة. والآن، مع التسابق بين القنوات الفضائية وتعاظم دور الإنترنت كوسيلة اتصال، أصبحت الصورة الرقمية محل اهتمام العديدين، وأصبح بمقدور

1 محمود علم الدين، الصورة الصحفية، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، بدون تاريخ،ص12.6

2 محمد عبد الحميد، السيد بهنسي، تأثير الصورة الصحفية، النظرية والتطبيق، عالم الكتب، القاهرة، 2004، ص 60

الكثيرين المشاركة في إنتاج الصورة الإعلامية، في ظل تقلص مراحل إنتاج الصورة، وسهولة حرق مراحل إنتاجها.

ويكشف الاستعراض التاريخي السابق عن أن الصورة الإعلامية مرت بعدة مراحل انتقلت فيها من المرحلة الجمالية كفن جميل لا يهتم فيها المصور إلا بالشكل والتكوين الفني إلى المرحلة الإعلامية كفن تطبيقي وظيفي يهتم بالنواحي الإعلامية. كما لعبت الصور الفوتوغرافية كثيرًا من الأدوار الاجتماعية المتنوعة منذ ظهورها، وإن حدثت تغيرات كبيرة في طبيعة هذه الأدوار مع ظهور التصوير الرقمي، فكل عراف التصوير والمفاهيم الخاصة بالنشاط البصري قد تغيرت على نحو واضح عبر التاريخ.

ثقافة الصورة في العصر الرقمي

أدي تطور الصور الرقمية إلى تحولات جذرية في ثقافة الصورة، من بينها أن الصور أصبحت تحيط بالبشر في كل مكان، وخاصة عبر وسائل الإعلام، وهو ما يثير عدة تساؤلات عن مدى تأثير التشبع بالصور على فهم الأحداث، وعلى درجة استجابة الجمهور للأحداث.فمن المؤكد أن التراكم الناتج عن الاستخدام المكثف للصور سوف يترك تأثيراته على الذاكرة الثقافية المتعلقة بالأحداث التي يتم تناولها بالصور، وعلى قبول البشر بما يرونه، وهو ما يثير تساؤلات حول مصداقية الصورة، وهل ستكون بمصداقية الكلمة المكتوبة أم ستتراجع؟.

وفي ظل هذه التحولات بدأ التصور التقليدي للصور يتراجع، وبدأت نسبة الانبهار بالصور تقل، ونسبة الفزع تتضاءل، وهو أمر يختلف عن البدايات الأولى لاختراع الصور. كما تراجعت نسبة الرقابة على الصور، وتضاءلت نسبة التحكم في الصور، وقلت مخاوف السياسيين والزعماء من تأثير الصور، وزادت نسبة المنافذ التي تطل من خلالها الصور على البشر، وكسرت الوسائط التكنولوجية العوائق التقليدية التي كانت تحول بين الصور وانتشارها السريع. ومن التحولات أيضًا تصاعد الظواهر المصاحبة للمعالجة الرقمية للصور، من حيث زيادة درجات الخطأ والتلاعب والخداع، وتلفيق الحقائق، وتراجع مصداقية الأفراد فيما يرونه بأعينهم من خلال الصور، وزيادة درجة تشككهم فيما يقدم لهم، وهو أمر ناجم عن زيادة إدراكهم لإمكانية التلاعب بالصورة، وتعاظم القدرة على تطويع الوسائط التكنولوجية لخدمة أغراض معينة. حتى ان البعض بدا يعرب عن مخاوفه من أن يؤدي تعاظم هذه الظاهرة إلى زيادة اعتياد الأفراد على أشباه الأشياء وليس على أصولها وإلي زيادة تفضيلهم للأشياء الظاهرية على الوقائع الحقيقية.

ومن الإفرازات الناجمة عن عصر وثقافة الصورة، بروز ظاهرة دمقراطة التكنولوجية،

والتي تعني أنه مع تزايد التقنيات التكنولوجية وتراجع أسعارها وسهولة استخدامها وتحسن جودة منتجاتها، تزايد عدد المساهمين في إنتاج الصورة، كما تزايد عدد المنتفعين بها، كما زادت الاستخدامات والتطبيقات الشعبية لفنون الصورة في مجالات متنوعة. بحيث لم تصبح صناعة إنتاج الصور حكرًا على فئة معينة أو تخصص معين. ومن ناحية أخرى، أسفرت دمقراطة تكنولوجيا الصورة عن زيادة القدرة على التلاعب بالصورة، وإمكانية شيوع أعداد الأفراد القادرين على ممارسة هذا التلاعب، وسهولة اختفاء القائمين به.[1]

المبحث الثالث:

الصورة الإعلامية الرقمية وظواهرها

الصورة الإعلامية الرقمية:

هي تلك الصورة الإعلامية التي يتم التعامل معها رقميًا في أي مرحلة من مراحل إنتاجها، سواء أثناء التقاطها أو معالجتها وتحريرها، أو تخزينها أو أرشفتها، وهي تستمد مقوماتها من الأدوار الأساسية التي تلعبها الصورة في العمل الإعلامي، ومن المقومات التي وفرتها تكنولوجيا الاتصال الرقمية.الصورة الإعلامية ليست مجرد عنصر لإضفاء الجاذبية على الصفحات، وإنما تساعد القراء على فهم الموضوعات المصاحبة لها،وهي أفضل وسيلة لجذب انتباه القراء.

ساعدت رقمنة الصور وقابلية تناقلها بين الوسائط الإعلامية المختلفة، على تناول موضوعات لم يتم تناولها من قبل، وتشكل ذات الصورة الإعلامية بعدة أشكال وفقًا لمتطلبات الوسيلة التي تعرض فيها من جهة، وإلى تناولها في عدة أشكال وفنون إعلامية من جهة أخرى، وإلى تعدد وسائل توظيفها، فضلاً عن إمكانية تحويلها وتغيير معالمها بحيث تظهر بصور متنوعة.كما ظهرت فنون صحفية وإعلامية جديدة تعتمد على الصورة، وعلى توظيف التقنيات الحديثة في عرض الصور مثل Photo essay، و Slide show، كما يسرت التكنولوجيا الحديثة مجال المشاركة في إنتاج الصور للعديد من الأفراد، والذين أصبح بمقدورهم القيام بكل المراحل الخاصة بإنتاج الصورة الإعلامية الرقمية.

الصورة الرقمية والظواهر الإعلامية الجديدة التي صاحبتها:

1. **التصوير الرقمي:**

أصبح بالإمكان الحصول على الصورة بسرعة وجودة عالية وتكلفة أقل، وإرسالها لجهات عديدة في زمن يسير، وعرضها عبر وسائط مختلفة، كما تم الاستغناء عن أفلام

1 Christine Rosen، The Image Culture، The news Atlantis، Fall 2005،p 27-46

التصوير الفوتوغرافي العادية، وكل العمليات المتصلة بتحميضها وطبعها وتكبيرها، حيث تتم معالجتها على الشاشة مباشرة، لتحسين درجة وضوحها، وزيادة التباين في ظلالها وألوانها.[1]

2. **الغرفة المظلمة الرقمية:**

أسفرت المعالجة الرقمية للصور عن ظهور ما يعرف بالغرفة المظلمة الرقمية كبديل عن الغرف التقليدية، حيث حدث تحول جوهري في الاعتماد على شاشات الكمبيوتر كبديل عن المعالجات الكيميائية التقليدية. ومن مزايا هذه الغرفة إمكانية طبع العديد من النسخ لذات الصورة بسهولة، وسهولة التخلص من المشكلات التي كانت تنجم عن العمل في الغرف التقليدية مثل الأكسدة والأغبرة وتلطيخ الملابس، فضلاً عن أن العمل على برنامج مثل فوتوشوب يعد عملاً أكثر يسرًا وسهولة، وإن قال البعض منهم إنهم يفضلون رؤية الصورة على فيلم بدلاً من الكمبيوتر، وإن الغرفة التقليدية تتسم بحميمية أكثر، وان فقدان خبرة العمل في الغرف التقليدية يفقد المصور الكثير من الخبرات، وقد أبدى البعض مقاومة في البداية تجاه استخدام هذه التقنية الجديدة.

3. **المعالجة الرقمية للصور:**

أتاحت برامج المعالجة الفنية للصورة العديد من المزايا أهمها إمكانية التحكم في درجة وضوح الصورة ودقتها وكثافتها البصرية ودرجة التباين فيها، وإمكانية حذف الخطوط والتفاصيل الزائدة في الصور، والقيام بعمل الرتوش الاليكترونية لها، وإمكانية إضافة التأثيرات إلى الصور، وإظهارها في شكلها النهائي على الشاشة لطباعتها أو تخزينها، وإجراء التصحيحات اللازمة للألوان وفصلها عن بعضها البعض، وإمكانية التحكم في مساحات وأحجام وأشكال الصور، وإمكانية قلب الصور وتغيير اتجاه الحركة فيها، والتحكم في زوايا الإضاءة في أجزاء منها، وإمكانية إنتاج الظلال، وإمكانية حذف أجزاء من الصورة وإضافة أجزاء خارجية إليها، مع إمكانية دمجها وتركيبها مع صور أخرى، وكذلك إبراز أجزاء منها وإضعاف أخرى، وغيرها من العمليات التي يطلق عليها تدوير الصورة، وإمكانية دمج الصورة في النص المكتوب، وكذلك المزج بينها وبين الرسوم بدلاً من عمليات القص واللصق التي كانت تستخدم سابقًاً.[2]

4. **التحرير الإليكتروني للصور:**

سؤال يمكن أن يطرح هنا، هل تختلف المعالجة الرقمية للصور عن كتابة النصوص؟ البعض يرى أن قواعد الكتابة تنطبق على تحرير الصورة، وأنه مثلما يتم إعادة صياغة

1 السيد مصطفي، التصوير الفوتوغرافي، جامعة الشارقة، الشارقة،2003،ص70

2 سمير محمود، الحاسب الآلي وتكنولوجيا إصدار الصحف، القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع،1997،ص81.78

وترتيب الكلمات، فإن الصورة الرقمية تحتاج أيضًا إلى مثل هذه الإجراءات. فالمعالجة الرقمية للصور تشبه محاولات الصحفيين جذب الجمهور لقصصهم من خلال تزيين عناصر القصة، فمثلما يركز المحرر على العنصر الأكثر جاذبية، فإن محرر الصور يركز أيضًا على ما يجذب الجمهور.ومن ناحية أخرى، تتباين الرؤية إزاء الدور التقليدي لمحرر الصور الذي يقوم باختيار الصور الصالحة للنشر أو البث، حيث يرى البعض أنه أصبح من المحتم تجاوز دوره، وتخويل بعض مهامه لآخرين، بينما قال بعض المصورين أن تراجع دور محرر الصور قد يؤثر على دقة وجودة الصور التي يتم اختيارها.[1]

5. **تغيير كلام الصور:**

بينما يسرت التكنولوجيا إدراج كلام الصورة في عدة مواضع على الصورة، فإنها قد تؤدي لعدم ظهور بعض أجزائها، كما قد تؤدي لكتابة كلام غير صحيح أو مضلل أو خاطئ عن الصورة، أو زيادة حدة الأخطاء، سواء نتيجة السرعة في كتابة كلام الصورة، أو لترك مهمة معالجة الصورة وكتابة كلامها لأحد الفنيين أو لقيام محرر الصورة بكتابة كلامها بدون النظر إلى أصل الصورة، ولكن بعد معالجتها. ومن بين الأمثلة الشهيرة على تغيير محتوى الصورة من خلال كلام الصورة ما قامت به مجلتي نيوزيوك والتايمز عند نشرهما لصورة اللاعب الأمريكي الشهير أوجي سيمبسون الذي اتهم بقتل زوجته وعشيقها، فقد كان كلام الصورة يوحي بإشارات عنصرية ضد المتهم. وتثير قضية كلام الصور تباينًا بين فريقين، إذ بينما لا يوافق الفريق الأول على كتابة نصوص على الصورة ذاتها، خشية إخفاء أجزاء معينة في الصورة، فإن الفريق الآخر لا يرى غضاضة في ذلك، وخاصة في أغلفة المجلات، حيث يتطلب الإخراج والتصميم الجيد للمجلات التعامل مع أكثر من عنصر في وقت واحد وتوظيفهم معًا.

6. **الصورة الإعلامية الرقمية المتحركة:**

في الآونة الأخيرة، انتشرت ظاهرة التلاعب بالصور المتحركة، وخاصة على الإنترنت، وهو أمر يترك تأثيراته الضارة، في حال لجوء المواقع الإعلامية، للتلاعب بالمشاهد المرئية المصورة، مما قد يخلق انطباعا خاطئًا عن حدث ما. ومن ناحية أخرى، يمكن تحويل أي تسجيل تناظري إلى تسجيل رقمي،كما أن صور الفيديو التناظرية والرقمية تبدو متشابهة على الشاشة، ومن ثم تكون القابلية للتدقيق الملازمة لكليهما متقاربة، لكن القابلية للخداع والتزييف موجودة أكبر في الصور الرقمية. ومن أشهر البرامج المستخدمة في هذا المجال، هو برنامج «بريمبير»، وإن كانت لا تزال هناك الكثير من الإشكاليات الفنية والقانونية

1 Sharira Fahmy and C.Zoe Smith، Photographers Note Digital's Advantages، disadvantages، Newspaper Research Journal، Vol.24.No.2، spring 2003، 82-93.

المتعلقة بكيفية إثبات حدوث تزييف وتلاعب في نص الفيديو الأصلي، وحقوق الملكية الفكرية.[1]

7. الوسائل الإعلامية الجديدة وصناعة الصورة الإعلامية:

مع اندماج وسائل الإعلام التقليدية والإليكترونية بفضل استخدام اللغة الرقمية، أصبحت الصورة الإعلامية تجد لها متنفسًا في بيئات متنوعة، كل منها يفرض عليها تقاليده وطرقه في العمل، مما جعل ذات الصورة تتشكل وتتلون بألوان مختلفة وفقًا لطبيعة الوسيلة، وهو ما قد يثير تساؤلات حول تأثير البيئة الإعلامية على الصورة، وحدود التوفيق بين مقومات الوسيلة وبين خصائص الصورة. ومن ناحية أخرى، فإن هذه الاندماج أدى إلى زيادة عدد المساهمين في صناعة الصورة الإعلامية الرقمية وفي مقدمتهم وكالات الأنباء وكالات الخدمات الصحفية المصورة، كما بدأت وسائل الإعلام تستقي مادتها المصورة من الأفراد العاديين، ومن أصحاب مواقع البلوجرز وغيرهم، وقد لا يتوفر لبعض هؤلاء الأفراد الخبرة المهنية، وهو ما قد ينعكس بالتالي على أخلاقيات الصور الإعلامية المستخدمة.

8. حرية الصورة الإعلامية الرقمية:

بينما وفرت المعالجة الرقمية الكثير من المزايا للصور، فإنها أيضًا سهلت عملية فرض رقابة عليها، وحجب بعضها عن النشر، وإمكانية التلاعب بمكوناتها بما لا يتيح إظهار الحقيقة كاملة. ومن ناحية أخرى، فإن إمكانية توافر الصورة في أكثر من مكان، وإمكانية تبادلها بين أكثر من طرف، قد حد من إمكانيات فرض حظر على نشر بعض الصور، وصعب إمكانية حذف الصور من جهة معينة، حيث تتوافر ذات الصورة في أماكن مختلفة. ومن ناحية ثالثة، فإن التوافر الغزير للصور، قد خلق توجهًا جديدًا يقوم على أن المنع والحظر لم يعدا بأفضل طريقة لمراقبة الصور وحجبها، بل توزيعها بغزارة وبوتيرة متصاعدة، لإن الجمهور يفقد التركيز في لهثه وراء إيقاع الصور المتسارعة.

المبحث الرابع:

الجوانب الأخلاقية للصور الإعلامية الرقمية

مثلت الأبعاد الأخلاقية والقانونية لاستخدامات الصورة الإعلامية مجالاً مهمًا لدراستها، وذلك لأهمية الصورة، ولـلأدوار العديدة التي تؤديها في المجال الإعلامي، وللتطورات المتسارعة في عمليات إنتاجها وخاصة فيما يتعلق بالمعالجة الرقمية للصور.

1 سعيد جبر ،الحق في الصورة، دار النهضة العربية، القاهرة،1986،ص 40.37

وفي هذا الصدد، تطرح مناقشات وتساؤلات واسعة النطاق حول أخلاقيات الصور الإعلامية الرقمية، وأشكال معالجاتها، وهل من السهولة الكشف عن أي تغيير أو تعديل يتم في معالجاتها؟ وما هو تأثير تركيب عدة صور معًا على حقوق الملكية الفكرية؟ وما هي العوامل التي يجب وضعها في الاعتبار عند إجراء تعديلات على الصور، وما هي طبيعة التأثيرات الاجتماعية الناجمة عن المعالجة الرقمية للصور، وإلى أي مدى يمكن توظيف التقنيات المختلفة المتوافرة في برامج معالجة الصور، ومتى يمكن القول بأن الصورة صادقة؟ وما هي الحدود الفاصلة بين ما هو أخلاقي وما هو غير أخلاقي؟، وتحت أية ظروف ينبغي تنبيه الجمهور عند حدوث تعديلات في الصورة؟

I. أبرز طرق المعالجات الرقمية للصور وتأثيراتها الأخلاقية المرغوبة وغير المرغوبة:

1. عملية الفوتومونتاج PHOTOMONTAGE:

وهي أخطر عمليات تغيير ملامح الصورة، وهى تقوم على الحذف أو الإضافة أو التركيب أو كلهم معًا، وقد تكون حسنة النية. وتهدف إلى مجرد تقديم مشهد معبر، وقد تهدف إلى تشويه صورة ما، وتقديم انطباع سيىء عن موضوع أو أشخاص في داخل الصورة أو مجموعة من الصور.[1]

2. عملية الاقتطاع من أجزاء الصورة CROPPING :

وهى عملية يتم من خلالها تحرير أو حذف أجزاء من الصورة لزيادة الاهتمام بها أو تغيير نسبها أو حجمها أو مساحتها. كما تعي أيضًا عملية التقطيع الرمزي (الجمالي) للصورة الأصل لحذف الأجزاء الزائدة.[2]

3. الإضاءة والتلوين:

من بين المعالجات الرقمية المتعلقة بالتلوين والإضاءة ما يعرف بالتعتيم أو تفتيح بعض مناطق الصورة. والتعتيم يعمل على زيادة المناطق الداكنة أو المظلمة في الصورة، وعكسه هو التفتيح، وهما عمليتان منفصلتان حتى إن بعض الصحف والمجلات تقيدان العمل بكلتياهما معًا، ففي مجلة النيوزيوك يقيدون أنفسهم إما بتفتيح أو تعتيم الصورة الإخبارية مع عدم السماح بإتمام العمليتين معًا.[3]

4. اصطناع الأحداث المصورة: RE-ENACTMENTS

أحيانًا ما تقوم بعض وسائل الإعلام باصطناع أحداث مصورة، لا تتم للواقع بصلة، من خلال تجميع بعض العناصر مع بعضها أو تحريك بعضها، وأحيانًا ما تقوم باستخدام صور تم التقاطها في أماكن مختلفة وتوقيتات مختلفة وتقديمها على أنها تمثل وقائع حدثت في

1 محمود علم الدين، الصورة الصحفية، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، بدون تاريخ، ص 51

2 نفس المصدر السابق، ص 85 . 86

3 Cromey، D.W، Digital Imaging: Ethics. arizona.edu، March. 2007.

توقيت حديث، وقد يحدث هذا عندما لا يلحق المصور بالحدث، مما يجعله يقوم بإعادة صياغة للحدث سواء من مخيلته أو من خلال الجمع بين بعض الحقائق والتصورات، إلا أنها تؤدي في النهاية إلى نقل أحداث قد لا تقترب كثيرًا من الواقع.

5. محتوى الصورة:

يكاد يتفق معظم المعنيين بأخلاقيات الصورة، على عدم جواز تغيير محتوى الصورة، سواء بإضافة بعض العناصر، أو إزالة بعضها. ويشترطون لإحداث أي تغيير في المحتوى أن يكون لأغراض إبداعية كوضع تأثير خاص على القصة، ولكن يجب الإشارة لذلك في كلام الصورة، مع التأكد من قدرة القارئ العادي على فهم التغيير، وعدم تأثيره على سياق الصورة.إلا أن ذلك لا يتناقض مع الحقيقة القائلة بأن تغيير محتوي الصورة يعد خداعًا للجمهور.

II. القضايا الأخلاقية ذات الصلة باستخدام الصور الرقمية إعلاميًا:

1. المصداقية والتلاعب بالصور:

تمثل المصداقية متغيرًا وسطًا بين الإعلام والتأثير في الرأي العام، وقد اهتمت دراسات عديدة بتحليل الآثار السلبية التي تترتب على فقدان وسائل الإعلام لمصداقيتها، والتي تمثل الأساس الفعال لتأثيراتها. وتأتي قضية مصداقية الصورة في مقدمة القضايا الأخلاقية التى أثارتها المعالجة الرقمية، حيث بدأت تأخذ بعدًا جديدًا. فبينما كان النقاش يدور في الفترات الماضية حول مدى مصداقية الكاميرا ذاتها في نقل الحقيقة والصدق، وهل الكاميرا لا تكذب؟ إلا أن النقاش انتهى للقول بأن هذا الأمر بعيد عن الحقيقة. وعلل الكثيرون ذلك بأن الصورة لا تصور الحقيقة كاملة إذ التقطت لتعبر عن موضوع ما، كما يمكن تغيير الصورة بواسطة الرتوش، بل ان مجرد اختيار صورة وليس أخرى هو دليل على تحيز متعمد من المصور وقت الالتقاط، والمحرر عند المفاضلة بين عدة صور تم التقاطها.

2. الخصوصية والحق في الصورة:

تعتبر الصورة انعكاسًا لشخصية الإنسان ليس فقط في مظهرها المادي الجسماني، وإنما أيضًا في مظهرها المعنوي، فهي تعكس مشاعر الإنسان وإحساسه ورغباته. والحق في الصورة يعني تخويل صاحب الصورة الحق في الاعتراض على إنتاج صورته ونشرها دون رضائه، وكذا الحق في إباحة الإنتاج أو النشر متى ثبت توافره. وإن كان الحق في الصورة يتضاءل في بعض الأحيان أمام المصلحة العامة للجمهور وحقه في المعرفة والإعلام، فضرورات الحق في الإعلام تعد من القيود الهامة على الحق في الصورة.[1]

1 سعيد جبر ،الحق غي الصورة، دار النهضة العربية، القاهرة،1986، ص 27 . 31.

3. الملكية الفكرية:

من القضايا الأخلاقية والقانونية التي أثارتها المعالجة الرقمية للصورة، قضية حقوق الملكية الفكرية للصور، إذ بينما وفرت تكنولوجيا المعالجة الرقمية إمكانات كبيرة في مجال تحسين جودة الصور وألوانها وسرعة إنتاجها وتخزينها وإعادة استخدامها، إلا أنها أثارت مشكلة أخلاقية وقانونية تتعلق بحقوق النشر والملكية الفكرية، فمن ناحية أصبح من اليسير نسخ الصور واستخدامها دون الرجوع إلى أصحاب حقوق ملكيتها، كما أصبح من اليسير تنقل الصورة من فرد لآخر ومن مؤسسة لأخرى، دون معرفة المصدر الأصلي لها، مع صعوبة معرفة التغيرات التي حدثت على الصورة، وفي أية مرحلة تمت هذه التعديلات ومن قام بها. ومن التأثيرات السلبية لذلك ضياع حقوق المبدعين والمصورين، وسهولة إدعاء البعض لحق ملكية بعض الصور التي لم ينتجوها، فضلاً عن تزييف حقيقة منتج الصورة.[1]

III. المواثيق الأخلاقية وتصوراتها للمعالجات الرقمية للصور:

يكشف التحليل المتعمق لهذه المواثيق عن وجود توجه عام للتجاوب مع التكنولوجيا الحديثة وتطويعها في خدمة العمل الإعلامي والصحفي، وأنه مع الإقرار بأهمية الاستعانة ببرامج الكمبيوتر في معالجة الصور رقميًا، فإن ثمة توجه نحو تطبيق القيم التي كانت متبعة فيما مضى في معالجة الصورة، فيما يعرف بالغرفة المظلمة، فمثلاً تؤكد الاسشيوتدبرس أنه بالرغم من أنها أصدرت بيانًا توضح فيها سياستها المتعلقة بالمعالجة الاليكترونية للصور في عام 1990، في وقت كانت فيه سرعة المعالجة الرقمية للصورة في بدايتها، إلا أن هذه السياسة لا تزال سارية حتى الآن. وأنه بالرغم من جدة الموضوع، فإن التعامل معه يتأتى من القيم القديمة، وهذه القيم لم تتغير، وهي قيم قائمة على ضرورة عدم تغيير محتوى الصورة، وعلى ضرورة قيام الصورة بنقل الحقيقة.

وتؤكد هذه المواثيق أنه على الرغم من استبدال المصطلحات القديمة التي كانت مستخدمة من قبل في الصحافة، في مجال تفتيح وتعتيم الصورة بمصطلحات جديدة مثل التلاعب بالصورة أو تحسين الصورة، إلا أنه يجب وضح حدود لهذه المعالجة، حتى لا يساء استخدام مثل هذه المصطلحات، وإنه عند إجراء مثل هذه العمليات، فإنها يجب أن تكون محكومة بمعايير صناعة المهنة، وأن تتم في حدود هدف الصورة، والذي هو عكس الواقع بدقة.

كما يكشف تحليل هذه المواثيق عن مجموعة من الضوابط الإجرائية التي نصت عليها هذه المواثيق،وإن كان البعض منها قد أشار إلى أنه بينما لا توجد ضوابط محددة يمكن توقعها في كل موقف، فإن الفطنة والتقييم الجيد يعدان من بين المعايير التي يمكن الاستناد إليها. وبينما يتشدد البعض في النص على ضرورة عدم التلاعب بالصورة، فإن

1 محمد عبد الحميد، السيد بهنسي، تأثير الصورة الصحفية، النظرية والتطبيق، عالم الكتب، القاهرة، 2004، ص 51

البعض الآخر لا يرى غضاضة في ذلك طالما كان الهدف هو تحسين جودة الصورة فنيًا.

IV. نحو تصور أخلاقي بديل للمعالجة الرقمية للصور الإعلامية:

إن أي تصور أخلاقي للمعالجة الرقمية للصور الإعلامية، يجب أن يؤكد على كون التصوير الرقمي هو علم وفن، وأنه مهنة تستحق التقدير والاحترام، وتلعب دورًا حيويًا في الإعلام الحديث، وأن ممتهني هذه المهنة أو المتعاملين معها بجوانبها المختلفة يجب أن يسعوا جاهدين للالتزام بالمعايير الأخلاقية الواجب اتباعها في مجال الصورة، وبنقل الواقع والحقيقة، مع الالتزام بكل معايير الصدق والأمانة، والحرص على مصداقية الصورة، والتأكيد على أهمية الاقتداء بالمعايير المتبعة في جمع ونشر ومعالجة المواد الإخبارية والإعلامية في مجال الصورة،وضرورة الحرص الجماعي على مصداقية الصورة، وقدرتها على توصيل الحقيقة، والحفاظ على مكانتها كوسيلة اتصالية مرئية مميزة، والتضامن من أجل تحقيق أكبر مساحة ممكنة من حرية الحصول على الصورة ونشرها، مع الحفاظ على قيم المجتمع وتقاليده، مع الإقرار بحدود وإمكانيات وقدرات أي ميثاق شرف يعنى بالمعالجة الرقمية للصورة، فالاقتراب من مثل هذه المعالجات يقتضي المرونة وتفعيل البداهة والحس الصحفي السليم للحكم على المعالجة وكيفية القيام بها.

ومن الممارسات المهنية التي ينبغي عدم القيام بها في المعالجات التحريرية والإخراجية والإنتاجية الرقمية للصورة ما يلي: لا يجوز استخدام الوسائل الرقمية بأية طريقة لخداع الجمهور وتغيير محتوى الصورة ومكوناتها، ولا يجوز إضافة عناصر أو حذف عناصر من الصورة، وبما يؤدي إلى تلفيق أو اختلاق وقائع ليست قائمة بالصورة، ولا يجوز إزالة عناصر متضمنة في الصورة، رغبة في الإيحاء بأنها لم تكن موجودة، ولا يجوز إجراء تغييرات لونية في الصورة بصورة تزيد عن الرغبة في استعادة الأوضاع الأولية والحقيقية لعناصر الصورة، ولا يجوز اقتطاع أجزاء من الصورة أو تغيير الإطار أو السياق الذي يحتوي عناصر الصورة أو تدويرها بطريقة تغير من الواقع الحقيقي للصورة

الخلاصة:

كل المؤشرات تشير إلى حدوث تحولات جذرية في مكانة ودور الصورة في الإعلام الحديث، وإلى تعاظم ظاهرة الصورة الإعلامية الرقمية، وتزايد إدراكها وتصورها كوسيلة اتصالية متميزة، لها تقنياتها ودلالاتها وتأثيراتها ومفرداتها الخاصة بها، ولكن من ناحية أخرى حدثت تحولات سلبية تتمثل في ظهور ممارسات أخلاقية مغايرة لما كان سائدًا في السابق، وإلى أنه بالرغم من المزايا الكثيرة التي أضافتها تكنولوجيا الاتصال الرقمي في مجال معالجة الصور، بيد أنها أوجدت الكثير من الممارسات الأخلاقية غير المقبولة من جهة، والمثيرة للجدل من ناحية أخرى. كما تكشف الدراسة عن وقوع بعض المؤسسات

الإعلامية الشهيرة في شرك التلاعب الرقمي بالصورة، وإلى حدوث الكثير من الأخطاء الأخلاقية في هذا المجال. كما تكشف الدراسة عن غياب وجود مواثيق شرف محددة فيما يتعلق بضوابط المعالجة الرقمية للصور، وأن صحفًا ومؤسسات قليلة هي التي سنت لنفسها ضوابط عمل في هذا المجال، وإن اتصف معظمها بالعمومية وعدم التحديد الدقيق. كما كشفت عن وجود ممارسات أخلاقية غير سوية في مجال التعاطي مع المعالجة الرقمية للصور في بعض المؤسسات الإعلامية بفعل عوامل عديدة من بينها جدة الظاهرة والانبهار بها، وغياب وجود ضوابط محددة للتعاطي معها، ووجود ضغوط مهنية واقتصادية، وعدم الوعي بثقافة أخلاقيات الصورة الرقمية وغيرها .وكذلك كشفت الدراسة أنه مع التطورات المتسارعة في تكنولوجيا الاتصال الرقمي، وتطور برمجيات المعالجة الرقمية للصور، زادت حالات الانتهاكات الأخلاقية المتعلقة بتوظيف الصور لتحقيق أهداف مختلفة من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن ثمة حاجة لإعادة تأهيل الصحفيين في مجال التعامل مع الصور، والعمل على زيادة وعيهم بمواطن الوقوع في الأخطاء. كما أن ثمة حاجة لنقاش إعلامي أكاديمي جاد للوصول لمواثيق شرف محددة تتناول المعالجة الرقمية للصور

المراجع

المراجع العربية:

1. شاكر عبد الحميد، عصر الصورة، الايجابيات والسلبيات، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 311، يناير 2005
2. السيد مصطفي، التصوير الفوتوغرافي، جامعة الشارقة، الشارقة، 2003
3. نصر الدين لعياضي، الصورة في وسائل الإعلام العربية، الإذاعات العربية، لبنان،العدد1، 2006
4. محمود علم الدين، الصورة الصحفية، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، بدون تاريخ
5. محمد عبد الحميد، السيد بهنسي، تأثير الصورة الصحفية، النظرية والتطبيق، عالم الكتب، القاهرة، 2004
6. سمير محمود، الحاسب الآلي وتكنولوجيا إصدار الصحف، القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع،1997
7. سعيد جبر ،الحق في الصورة، دار النهضة العربية، القاهرة،1986

المراجع الأجنبية:

1. Reaves, S. (1995b). The Unintended Effects of New Technology and Why We Can Expect More. Visual Communication Quarterly, 2-11-15.
2. Christine Rosen, The Image Culture, The news Atlantis, Fall 2005
3. Sharira Fahmy and C.Zoe Smith, Photographers Note Digital's Advantages,

Disadvantages, Newspaper Research Journal, Vol.24.No.2, spring 2003

4. Cromey, D.W. Digital Imaging: Ethics, arizona.edu, March, 2007